



**African Journal of Advanced Studies in  
Humanities and Social Sciences (AJASHSS)**  
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية  
والاجتماعية

Online-ISSN: 2957-5907

Volume 1, Issue 4, October-December 2022, Page No: 545-555

Website: <https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index>

Arab Impact Factor 2022: 1.04

SJIFactor 2022: 4.338

ISI 2022: 0.510

**استراتيجية التمدد وبناء النفوذ في الحقبة القيصرية الروسية**

أ. أحمد مصطفى أبوبكر الوتوات \*

قسم العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة مصراتة، ليبيا

**The Strategy of Expansion and Influence-Building  
in the Russian Tsarist Era**

Ahmed Mustafa Abobkr Alwetwat \*

Department of Political Science, Faculty of Economics and Political Science, Misurata  
University, Libya

\*Corresponding author

[a.tt.ww.1973@gmail.com](mailto:a.tt.ww.1973@gmail.com)

\*المؤلف المراسل

تاريخ النشر: 2022-12-27

تاريخ القبول: 2022-12-21

تاريخ الاستلام: 2022-10-16

**المخلص**

تناولت الدراسة بداية نشأة الدولة الروسية، وتحول نظام الحكم فيها إلى النظام الإمبراطوري القيصري، والسعي الروسي إلى تعزيز مكانة الدولة كقوة مؤثرة في مسرح الأحداث الدولية، من خلال اعتماد استراتيجية للتوسع الجغرافي الإقليمي وتعزيز النفوذ السياسي خارج الحدود، وأظهرت نتائج الدراسة أن موسكو نجحت في التمدد وتوسيع الرقعة الجغرافية للدولة، وذلك بقضم أراضي الأقاليم المجاورة وضمها إليها، سواء في سيبيريا أو القوقاز أو آسيا الوسطى، وخاض قياصرة روسيا العديد من الحروب في جبهات مختلفة من أجل تحقيق أهدافهم التوسعية، الأمر الذي أهل روسيا للعب دور محوري في مجريات الأحداث في القارة الأوروبية وتعزيز نفوذها فيها، والذي كان على حساب هيمنة الإمبراطورية العثمانية، التي حكمت جزءاً كبيراً من مجتمعاتها لفترة قاربت خمسة قرون. واستند القياصرة الروس في استراتيجيتهم التوسعية إلى توظيف العامل العرقي والأيدولوجية الدينية لإثارة المجتمعات، خاصة مجتمعات البلقان، وتحريضها على الاستقلال عن الدولة العثمانية.

**الكلمات المفتاحية:** الاستراتيجية، التمدد الجغرافي، النفوذ السياسي.

**Abstract**

The study examined the origins of the Russian state, the transformation of its system of government into the Tsarist imperial system, and Russia's efforts to strengthen its position as an influential power on the international stage through the adoption of a strategy of regional geographical expansion and the enhancement of political influence beyond its borders. The findings of the study showed that Moscow succeeded in expanding the territorial extent of the state by annexing neighboring regions, including Siberia, the Caucasus, and Central Asia. The Russian tsars waged numerous wars on different fronts in pursuit of their expansionist objectives, which enabled Russia to play a pivotal role in European affairs and to strengthen its influence on the continent, largely at the expense of the Ottoman Empire, which had ruled a significant part of these societies for nearly five centuries. In their expansionist strategy, the Russian tsars relied on the use of ethnic factors and religious ideology to mobilize local

societies, particularly in the Balkans, and to encourage them to seek independence from the Ottoman Empire.

**Keywords:** Strategy, Geographical Expansion, Political Influence.

## 1- مقدمة

كانت البداية في ظهور الدولة الروسية كإمارة صغيرة، وسرعان ما أصبحت امبراطورية تحولت إلى الحكم القيصري، فقد حكم القيصرية روسيا إلى ما يقارب الثلاثمئة عام، وكان لهم طموح في أن تكون روسيا دولة كبرى على مسرح الأحداث الدولية، وكلل الإمبراطوريات القديمة، كانت روسيا لا تستطيع العيش والاستمرار بدون مدى حيوي، ومناطق امتدادات ونفوذ خلف الحدود، ولأجل ذلك دخلت روسيا في سلسلة حروب طويلة، وأبرزها مع الإمبراطورية العثمانية، ما كان لها الأثر في التعجيل بسقوط الأخيرة وإنهاء دورها على الساحة الدولية.

إن التمدد الروسي تميز باستراتيجية توسعية نحو القوقاز وآسيا الوسطى والبلقان، واختلط ذلك بعواطف دينية، متمثلة بحماية الأرثوذكس والعرق السلافي في العالم، وفي القرن التاسع عشر أصبحت روسيا القيصرية دولة مترامية الأطراف، تمتد على ثلاث قارات وتضم عشرات القوميات والأديان، ولها دور كبير في مجريات الأحداث الدولية.

## 2- مشكلة الدراسة:

بما أن روسيا القيصرية اعتبرت قوة صاعدة آنذاك، وأنها سعت إلى التمدد وبسط نفوذها في مناطق جغرافية مختلفة، عليه يمكن طرح السؤال الرئيسي التالي:

**هل تمكنت الاستراتيجية القيصرية من خلال آلياتها أن تحقق أهدافها التوسعية؟**

وينبثق عنه تساؤلات فرعية وهي:

- كيف ساعد الانتماء العرقي في عملية تمدد روسيا القيصرية؟

- ما هو الدور الذي لعبه العامل الديني في اتجاه تعزيز مكانة روسيا الدولية؟

## 3- فرضية الدراسة:

إن الاستراتيجية التي تبناها قيصرية روسيا، والتي اعتمدت على الانتماء العرقي والديني قد ساهمت في سيطرة الدولة الروسية على مناطق جغرافية شاسعة، وبسط نفوذها على مناطق أخرى خاصة في البلقان.

## 4- أهداف الدراسة:

تتلخص أهداف الدراسة في الآتي:

- التعرف على ملامح استراتيجية روسيا القيصرية في توجيهها لتعزيز نفوذها الدولي.

- الوقوف على أهمية توظيف العرق والدين في السياسات القيصرية الروسية.

## 5- أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة في استعراض وتحليل الحقبة القيصريّة من عمر الدولة الروسية، والتي تميزت بالتوسع الجغرافي المستمر للدولة، واتساع دائرة نفوذها على مسرح الأحداث الدولية، الأمر الذي كون هاجساً لدى الدول الأوروبية، مفاده أن روسيا تسعى إلى إعادة صياغة تاريخها التوسعي على حساب دول القارة.

## 6- منهجية الدراسة:

استعانّت الدراسة بعدد من المناهج العلمية لكي تحقق أهدافها، فقد تم استخدام المنهج التاريخي، لما له من أهمية في استحضار تطورات الظاهرة السياسية عبر الزمان والمكان، وتم الاعتماد على منهج دراسة الحالة

الذي يساعد في عملية البحث المعمق في استراتيجية التمدد القيصري، وكذلك تم الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي، لتوظيفه في عملية وصف وتحليل التحركات الروسية في ساحات جغرافية متعددة.

#### 7- الدراسات السابقة:

#### - دراسة فتحي سالم حميدي بعنوان: إمارة كييف الروسية دراسة تاريخية في نشأتها وعلاقاتها الخارجية، 2013م.

سلطت الدراسة الضوء على تاريخ إمارة كييف الروسية وتطورها، وما وصلت إليه من مكانة سياسية بفعل قوتها الاقتصادية، ولا سيما على الصعيد التجاري، كما تناولت الدراسة أهمية الموقع الاستراتيجي لإمارة كييف كونها تربط بين الشرق والغرب، كما تطرقت الدراسة إلى نهاية الإمارة على أيدي المغول الذين دمروا كل شيء فيها على الصعيد الاقتصادي والبشري والحضاري، فأصبحت إمارة محتلة بعد أن بلغت إمارة نفوذها مساحات كبيرة.

#### - دراسة علي صالح هويدي بعنوان: الحرب الروسية العثمانية 1828-1829م، 2020م.

تتناول هذه الدراسة العلاقات الروسية العثمانية، فكانت ما بين علاقات سلمية أحياناً وأحياناً أخرى علاقات حربية بحكم الجوار، منذ ان تبادلت العلاقات الدبلوماسية في القرن الخامس عشر الميلادي، وتبادل السفراء فيما بينهم، وألقت الدراسة الضوء على الحرب الروسية العثمانية (1828-1829م)، من حيث أسبابها ونتائجها، التي أدت إلى احتلال روسيا لبعض المواقع العثمانية، ونتج عن ذلك توقيع الكثير من المعاهدات مثل معاهدة أدرنه في سبتمبر عام 1829م، وبروتوكول لندن في فبراير عام 1830م.

#### - رسالة ماجستير بعنوان: الأزمة البلقانية وتداعياتها على الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي، 2016م.

تناولت الدراسة أهمية إقليم البلقان كأحد أهم المناطق الحيوية الاستراتيجية، التي جعلته موضع لتنافس القوى الكبرى، فقد سعت روسيا للسيطرة عليه، وذلك لهدف الوصول إلى المضائق التركية عبره، كما تطرقت الدراسة إلى فترة اليقظة القومية في البلقان، والتي أدت إلى اندلاع ثورات هدفها التخلص من الحكم العثماني، فنشأت تيارات انفصالية في المنطقة دعمتها الجامعة السلافية، وعرفت هذه الدول تحالفاً واتحاد للبلقانيين بدعم من روسيا التي قامت بدور فعال من أجل تحقيق هذا التحالف لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية.

#### أولاً: نشأة الدولة الروسية وتطورها:

ظهر الروس كقوة محلية مع نهاية القرن العاشر الميلادي، كمجموعة من القبائل السلافية التي تسيطر على طرق التجارة الممتدة من بحر البلطيق في الشمال، والبحر الأسود في الجنوب، ففي تلك الفترة ظهر اتحاد القبائل الروسية فيما عرف باسم إمارة روس كييف، وعظم شأنها بعد تقاربها مع الإمبراطورية البيزنطية (أفيل روشفالد، 2012، ص16) إلا أن كييف بدأت تفقد مكانتها كمقر للسلطة المركزية أو كمدينة رئيسية للروس، بعد تولي الحكم فيها الأمير مستيلاف أبن فلاديمير مونماخ عام 1125م، ونتيجة لمجموعة من الأسباب فقد أخذت مدينة كييف تضعف شيئاً فشيئاً، وتدهورت أوضاعها واجتاحتها قوة عسكرية، يقودها مجموعة من الأمراء المتحالفين، وبزعامة أندري بجبولوبسكي ملك لتوانيا، فتم تعرية كنائسها وأديرتها وقصورها من الأشياء الثمينة التي نقلت إلى بلاده، وكانت الضربة القاضية في عام 1240م، حيث احتلت مدينة كييف بزعماء القائد المغولي باتو، الذي دمرها بشكل نهائي، فأصبحت المدينة لا أهمية لها بعد أن عاشت أزهى أيامها، كعاصمة رئيسية لروسيا وفي عام 1328م، اكتسبت موسكو اليد العليا في ظل دوقية فلاديمير الكبرى، الذي هزم المغول في عدة معارك، كان من أهمها معركة كوليكوفو عام 1380م، وبعد ذلك اعترف خان توختاميش بدوقية فلاديمير، باعتبارها ملكية وراثية لأمرأ موسكو، وفي مطلع القرنين الرابع عشر والخامس عشر، تم تقسيم جميع الأراضي الروسية تقريباً بين دوقتي موسكو وليتوانيا الكبرى، ومع بداية القرن الرابع عشر الميلادي، وبفضل جهود إيفان الأكبر وخلفائه، تشكلت إمارة موسكو تدريجياً كمركز جديد للإمارات الروسية المتناثرة، وبحلول نهاية القرن الرابع عشر، عزز الأمير إيفان الثالث حفيد

ديمتري دونسكوي، نفوذ إمارة موسكو بشكل كبير، وذلك بإضافة أراضي تغير ونوفغورود، وامتد نفوذ إمارة موسكو إلى ساحل المحيط المتجمد الشمالي وجزر الأورال، كما قام الدوق إيفان الأكبر، بقطع العلاقات مع القبيلة الذهبية المغولية عام 1480م، فكانت النتيجة بناء الإمبراطورية القيصرية الروسية ( فتحى حميدي، 2013، ص23-24).

## ثانياً: تأسيس الحكم القيصري:

بدأ الحكم القيصري في روسيا عام 1547م، وذلك عندما توج إيفان الرابع الملقب بالرهيب أميراً لموسكو، وحمل لقب قيصر لكل روسيا وحكم بين عامي (1547 – 1560م)، وفي عهده اتخذت الأيديولوجية الدينية الأرثوذكسية والسياسية لروسيا شكلها النهائي، واستطاع إيفان أن يجعل سلطة القيصر طاغية طغياناً كاملاً على كل روسيا، فقد قتل بعض زعماء الكنيسة الذين عارضوه، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حين قتل أكبر أبنائه في إحدى ساعات غضبه، ومع ذلك ينظر إليه بأنه رجل الدولة الذي أصلح روسيا، حيث قام بإصدار قوانين جديدة، وأنشأ أول هيئة تمثيلية إقطاعية روسية (أحمد حسين، 2015، ص183- 184) وأصبحت موسكو القيصرية تحت حكمه، بداية لظهور روسيا على مستوى العالم كقوة حقيقية، وتحولت بذلك إلى واقع يحسب له الكل حساباً (الكسندر دوغين، 2021، ص431).

وجدير بالذكر، بأن مساحة روسيا القيصريّة بلغت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي 22 مليون كم<sup>2</sup>، وامتدت على مساحة 50 % من أوروبا و 40 % من آسيا، وضمت أكثر من 126 وامتدت من شرق أوروبا حتى منشوريا وكوريا والصين، وبذلك تكون هي الدولة الأوروبية الوحيدة المتصلة بالصين مباشرة (إيناس عبدالله، 2015، ص10) والخريطة التالية توضح الحدود الجغرافية لروسيا القيصريّة:



www.marefa.org موسوعة المعرفة

### ثالثاً: أدوات التمرد والنفوذ القيصري

في سبيل تحقيق هذا الهدف، أعلنت روسيا أنها الحامية العالمية والمدافعة عن العقيدة الأرثوذكسية، وبهذا يقع عليها واجب ديني يتعلق بحماية الرعاية الأرثوذكس، مستخدمة في ذلك ما سمي بالجامعة الأرثوذكسية، التي كانت العقيدة المشتركة، التي بنت عليها تضامنها مع الأرثوذكس حول العالم، ووظفت روسيا روابط العرق والثقافة التي تجمع ما بين روسيا وشعوب البلقان السلافية، تحت شعار الجامعة السلافية في الصراع مع الدولة العثمانية.

وبفضل تأثير أفكار الجامعتين الأرثوذكسية والسلافية، تمكنت روسيا من ممارسة نفوذ وحماية على شعوب السلطنة العثمانية من الأرثوذكس في اليونان، والرومان والسلاف الأرثوذكس في صربيا وبلغاريا ومقدونيا والجبل الأسود (عبدالرؤوف سنو، 1998، ص233).

## 1- العقيدة الأرثوذكسية

يمتد تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا إلى أكثر من ألف عام، حين أعتنق الروس المسيحية الأرثوذكسية في عهد الأمير فلاديمير الأول (980-1015م)، مؤسس روسيا التي كانت حينئذ تعرف باسم كييف روس، وبتحولها من الوثنية إلى المسيحية الأرثوذكسية، التي وصلتها من شرق أوروبا حيث هيمنت الإمبراطورية البيزنطية، فقد صيغت العلاقة بين الكنيسة والسلطة في الدولة الروسية الوليدة، وفق النموذج البيزنطي حيث ارتبطت الكنيسة والدولة في علاقة تناغم وانسجام وتقاسم للمسؤوليات لتحقيق الغاية الإلهية (صالح الختلان، بلا ت، ص6-7)، ومنذ ذلك التاريخ تأثرت روسيا بالمفهوم البيزنطي القائم على إقامة مملكة مسيحية، فصبغت طموحتها السياسية بالبعد الديني المستمد من دعم الكنيسة الأرثوذكسية، التي اعتبرت الحروب والتوسعات الجغرافية للقيصرية بمثابة خطوات على طريق إمبراطورية الرب، التي ستسقط أمامها كل الدول والممالك (أفيل روشفالد، 2012، ص16) وبذلك اشترك القيصر الروسي والبطريرك في الإشراف على الكنيسة ورعاية المؤمنين، ومبدأ التناغم هذا حقق منافع متبادلة، حيث تلازم التبشير الذي قامت به الكنيسة بين القبائل الوثنية مع تمدد السلطة السياسية، واتساع رقعة الدولة الروسية، كما ساهمت الديانة الجديدة بدور توحيدي في بدايات تشكل الدولة، ومنحت الكنيسة القيصر مصدراً للشرعية بجانب القوة المادية، فسلطته مستمدة من تفويض إلهي، وباعتناق الروس الأوائل للمسيحية الأرثوذكسية أصبحت مكوناً رئيساً للهوية الروسية، لا تقل أهمية عن اللغة الروسية، وتظهر القيمة السياسية للمسيحية بشكل خاص أثناء الاضطرابات، كما حدث أكثر من مرة في تاريخ روسيا (صالح الختلان، بلا ت، ص6-7).

## 2- العامل العرقي

عادة ما يتم تقسيم الشعوب السلافية إلى سلافيين شرقيين، وينتمي إلى هذه المجموعة بشكل أساسي الروس والأوكرانيون والبيلاروس، وهناك السلاف الغربيون، وينتمي إليهم التشيك والسلفاك والبولنديون، وهناك السلاف الجنوبيون المتمثلين في الصرب والكروات والمقدونيين ومواطني الجبل الأسود والسلفونيين والبوسنيين، ولقد شكلت هذه المجاميع السلافية نواة للقوة المؤثرة لروسيا القيصرية، فقد عملت روسيا على توثيق علاقاتها العرقية والثقافية، مع الشعوب السلافية المنتشرة في منطقة البلقان منذ القرن السابع الميلادي، وتدخلت مراراً لنصرة هذه الشعوب، التي كان معظمها يرضخ لحكم الإمبراطورية العثمانية (محمد عقيل، 1958، ص18-19).

## رابعاً: التمدد في القوقاز

الاهتمام الروسي الاستراتيجي بمنطقة القوقاز كان واضحاً من قبل القيصرية الروس، فهذه المنطقة اعتبرت مجالاً حيوياً لروسيا القيصرية، ويعود هذا الاهتمام لعدة أسباب وهي:

- مجال التوسع الرئيسي للإمبراطورية الروسية مقارنة بحدودها من الغرب والشمال والجنوب.
- تعتبر منطقة عمق جغرافي مهم ضد الغزوات القادمة من الشرق والغرب.
- أنها منطقة تماس مع تركيا وإيران وبقية الشرق الأوسط، لذلك عمل القادة الروس بتبات على إزاحة القوى المنافسة وتوسيع النفوذ نحو الجنوب (لبنى وكرار، 2015، ص214)،

تاريخياً وضعت روسيا أعينها على القوقاز منذ عصر روسيا الكييفية، وفي عصر الإمارة الموسكوفية في بداية التاريخ القيصري، كان محط الأنظار الروسية على الشيشان وداغستان في الأساس، ومضى الاهتمام بهما على محورين متوازيين:

كان المحور الأول يهدف إلى التوسع التدريجي البطيء للأراضي الروسية نحو الجنوب، بالاستعانة بالنشاط الفاعل لقبائل القوقاز المواليين لروسيا، والذين بدأوا في التوغل غير المحسوس، وبصورة بدت سلمية على الأراضي القوقازية، وكانت عبر مئات من السنين خطوة وراء خطوة، أما المحور الثاني للتوغل الروسي

على أراضي القوقاز فقد جاء مرتبطاً بجورجيا، فعندما وقعت جورجيا بين مخابي إيران وتركيا، رأت أنه لا بد من الاستعانة بروسيا أثناء نزاعها المسلح مع الجيران المسلمين، وقتما كانت جورجيا محط النزاع بين الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الفارسية، حيث جاء الرد الروسي سريعاً وبترحاب من دولة أغراها التوغل نحو الجنوب (إسلام أون لاين، 2012).

وقد أرسلت روسيا قوة عسكرية بقيادة الجنرال لازاروف، واحتلت تفليس عاصمة الكرج وضمت إلى هذه الإدارة بلاد سانختي وتوشين، وقبائل پشاوا وخاوسو وجزءاً من بلاد الآستين، وبذلك أصبح قسم كبير من جبال القوقاز شمالاً وجنوباً خاضعاً لروسيا، وفي فبراير عام 1801م أعلنت روسيا رسمياً ضم بلاد الكرج إليها، وأصبحت ولاية تابعة لروسيا، وفي عام 1810م ضمت روسيا إليها ولاية لازيك، والتي من أهم مدنها قديماً وحديثاً مدينة كوتايسي (يوسف باشا، 1912، ص 53-54).

وكانت الحكومة القيصريّة استحدثت منصب نائب القيصّر، أو القائد العام في القوقاز ومقره مدينه تفليس، ويعتبر هذا المنصب وخاصة في الفترات التي شغلها الأمير ميشيل فورنتسوف، والمارشال الأمير الكسندر بارياتنسكي، وشقيق القيصّر غراندوق ميشيل يُعد أهم من منصب رئيس الوزراء، وكانت صلاحيات ومسؤوليات نائب القيصّر، تشمل جميع الشؤون المدنية والعسكرية في عموم القوقاز، وجري تقسيم البلاد إلى مناطق عسكرية، على مستويات مختلفة من حيث الحجم والصلاحيات، وتجرى عليها تعديلات بين الحين والآخر، وفي عام 1862 جرت تعديلات على التقسيمات، وقسمت منطقة الترك العسكرية إلى عدة مناطق، فالمنطقة الغربية شملت نواحي القبرطاي وأوسيتيا والانخوش، والمنطقة الوسطى شملت نواحي اتشكيريا واراغون (علي كشت، 2009، ص 35).

#### خامساً: التمدد في آسيا الوسطى

تاريخياً اعتنقت شعوب جمهوريات آسيا الوسطى الإسلام، ومثلت مدنها حواضر له، وفي نفس الوقت تعد آسيا الوسطى الحدود الجنوبية لروسيا، وهي تمثل مع منطقة القوقاز المنطقة الفاصلة بين الدولة الروسية والعالم الإسلامي، وقد شهدت المنطقة صداماً مستمراً، بين القوى المهيمنة على روسيا آنذاك، والدول الإسلامية المتاخمة لهذه المنطقة وشعوب آسيا الوسطى في معظمها تنتمي إلى القوميات التركية، وهناك وجود لقوميات إيرانية في بعض المناطق، وقد امتد سلطان الأتراك على طول ضفاف نهر الفولغا، بعد أن اعتنق السكان البرابرة هناك الإسلام، إضافة إلى نفوذهم في أوزبكستان وطاجيكستان وتركمانستان وقرقيزيا، وقد بدأت عملية التمدد الروسي في هذه المنطقة، منذ فترة حكم القيصّر الروسي إيفان الرابع الملقب بالرهيب، الذي حكم روسيا خلال الفترة ما بين عامي (1547-1584) فقد شن حرباً شاملة على الهلال الإسلامي، (ناصر زيدان، 2013، ص 38-39) وفي عهده أصبحت موسكو القيصريّة تبرز كقوة حقيقية على الخارطة الدولية، (الكسندر دوغين، 2021، ص 431) حيث غزا أراضي منطقة الفولغا عام 1552م، وهاجم خانات كازان وخانات استرخان عام 1556م، وأنشأ ميناء بحري استراتيجي على شواطئ المحيط المتجمد الشمالي، كما ضم جبال الأورال وسيبيريا الغربية وفي عهد بطرس الأكبر توسعت حملات التمدد، وكانت حروبه لا تستهدف هزيمة العدو فقط، بل ضم أراضي للإمبراطورية الروسية وجعلها جزءاً منها (ناصر زيدان، 2013، ص 38-39) وذلك من خلال استغلال التناقضات والخلافات بين المجموعات الإسلامية، والصراع التركي الإيراني في تلك المناطق، فاستولت روسيا على قرقيزيا وبلاد القازاخ، وأكملت زحفها على أوزباكستان، بعد أن استتجد بها الأوزبك لحمايتهم من هجمات أمير بخارى، وكان شعار روسيا في ظل التوسع والتمدّد هو أنها إمبراطورية عالمية، ليس لها قومية واحدة وديانة واحدة تحمي مصالح الجميع (مجموعة مؤلفين، 2006م، ص 52).

وفي عهد القيصّر ألكسندر الثاني، انتقلت روسيا إلى مرحلة النمو الرأسمالي، واتسمت بتوجهاتها البيروقراطية العسكرية، وهنا اختلفت الدوافع الروسية، فأصبحت تسعى للحصول على المواد الخام اللازمة لصناعة النسيج، التي استحدثت في روسيا في ذلك الوقت، حيث بدأ الروس بغزو تشيمنت عام 1855م، وبذلك انفتحت أمامهم الطريق إلى المناطق الواقعة جنوب سيبيريا، فتقدموا نحو طشقند واحتلوا عام 1865م، وفرضوا الحماية على إمارة خيوه عام 1874م، وفي عام 1878م دخل الروس إمارة جوقنده،

وتم غزو آسيا الوسطى باحتلال تركمان، الذي استغرق عقداً من الزمن فيما بين عامي 1873 - 1884م، ثم وصل الروس إلى حوض نهر بامير الأعلى عام 1900م. أنشأت السلطات الروسية لكل بلاد آسيا الوسطى حكومة، تحت اسم حكومة تركستان العامة، وجعلتها تحت السلطة العسكرية، ولم تتدخل في قانون المسلمين المستمد من الشريعة الإسلامية، وعدم إلزامهم بالخدمة العسكرية، وبالتالي لم تعتبرهم مواطنين خاضعين للقانون الروسي، وهم غير متساويين في الحقوق مع الرعايا الروس (محمد عدس، 2017، ص53-54)، وبذلك حل النفوذ الروسي في آسيا الوسطى، وعمل النافذون الجدد على تهجير موجات متتالية من الفلاحين الروس والأوكرانيين، نحو الأقاليم الجنوبية حتى منتصف القرن التاسع عشر (عاطف عبدالحميد، 2007، ص82).

### سادساً: تعزيز النفوذ في البلقان

البلقان منطقة جغرافية تقع في الجزء الشرقي لقارة أوروبا، وهي شبه جزيرة تمتد حدودها من نهر الدانوب شمالاً، إلى بحر مرمرة وبحر إيجة ومضيق الدردنيل جنوباً، والبحر الأيوني في الجنوب الغربي، كما تطل دول البلقان على البحر الأسود من الشرق، وتضم منطقة البلقان الدول التالية: ألبانيا، كوسوفو، بلغاريا، البوسنة والهرسك، صربيا، الجبل الأسود، كرواتيا، جمهورية مقدونيا، اليونان (جريدة بسمه، 2016، ص5) وتشكل منطقة البلقان مكانة مميزة في السياسة الخارجية الروسية، وهو ما يرتبط بعدد من العوامل تتمثل في انتماء أغلب سكان دول البلقان إلى المسيحية الأرثوذكسية، وهو المذهب الرئيسي السائد في روسيا، وعلاوة على ذلك، نجد أن أغلب سكان دول البلقان ينتمون إلى العرق السلافي، فقد دعمت روسيا القيصرية حركات التحرر في منطقة البلقان ضد الدولة العثمانية (ليونيد سافين، 2017، ص73). وكانت روسيا تبت الدعاية السلافية في البلقان، بغية تكوين الجامعة السلافية، وبذلك عرضت المصالح النمساوية في هذه المنطقة إلى الخطر، وحدث أن ثارت مقاطعتا البوسنة والهرسك ضد الدولة العثمانية في عام 1875م، كما ثار البلغاريون بسبب اضطهاد الفلاحين، فأخمد الجيش العثماني الثورة بقساوة بالغة، الأمر الذي أدى إلى امتعاض روسيا، مما أدى إلى اندلاع الحرب بين روسيا والدولة العثمانية، وانتصرت روسيا فيها وأملت شروطها على تركيا في معاهدة سان ستيفانو، في عام 1878م، فكان ذلك نذيراً بانتشار النفوذ الروسي في البلقان (محمد صالح، 1968، ص9-10) ومن أهم بنود هذه المعاهدة:

1 - تعيين حدود الجبل الأسود، لإنهاء النزاع وحصول هذه الإمارة على الاستقلال.

2 - تستقل إمارة الصرب، وتضاف إليها أرض جديدة.

3 - تستقل بلغاريا استقلالاً ذاتياً إدارياً، وتدفع مبلغاً محدداً للدولة.

4 - تحصل دولة رومانيا على استقلالها التام. (إسماعيل ياغي، 1995، ص195).

لقد شهدت منطقة البلقان عدة تمردات بشكل متفرق، إلا أن القرن التاسع عشر يعد قرن الثورات الوطنية، وكانت الأجواء السائدة في البلقان، لصالح المتمردين المسيحيين ضد الدولة العثمانية، حيث عرفت هذه الدول تحالف واتحاد للبلقانيين بدعم من روسيا، التي قامت بدور فعال من أجل تحقيق هذا التحالف، لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية، التي يتطلعون للحصول عليها، حيث قامت الحرب البلقانية الأولى، بين الدولة العثمانية والحكومات البلقانية بلغاريا، الصرب اليونان الجبل الأسود، وكانت نتائج هذه الحرب سلبية على الدولة العثمانية، إذ أنها اقتطعت أجزاء كبيرة من ممتلكاتها في أوروبا، كما زادت من تفجير الروح القومية فيها (جريدة بسمه، 2016، ص38).

### سابعاً: العلاقات الروسية العثمانية:

بدأت العلاقات الروسية العثمانية رسمياً في عام 1492م، حيث وصل إلى القسطنطينية أول سفير روسي، ومعه جملة من الهدايا للسلطان العثماني، وبعد ذلك بأربع سنوات أتى إليها سفير آخر، وحصل من الدولة على بعض الامتيازات للتجار الروس (محمد المحامي، 1981، ص183)، إلا أن هذه العلاقات دخلت في مرحلة من التوتر المتصاعد، بسبب سياسات التمدد الروسي تجاه الأراضي العثمانية، فتشكل عداء تقليدي بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية، ويرجع هذا العداء إلى عوامل عديدة منها الجغرافية والدينية

والقومية، يتركز العامل الأول في أن روسيا القيصرية كانت تبحث عن المياه الدافئة، أما الثانية فإن روسيا القيصرية كانت القائدة والمدافعة عن الجامعة السلافية والارثوذكسية (أحمد النعيمي، 2011، ص7).

التوغل الروسي في الاراضي العثمانية لم يبدأ إلا في عهد بطرس الأكبر، في نهاية القرن السابع عشر، فهو أول زعيم روسي، يعلن عن عدائه الشديد للعثمانيين، ففي البند الخامس من وصيته دعا إلى طرد الأتراك من أوروبا، ولهذا الغرض يجب تجهيز جيش بري دائم، وأن تقام داراً لصناعة السفن على شواطئ البحر الأسود، ويستمر التقدم نحو القسطنطينية، كما أوصى الروس في البند الحادي عشر، أن يجمعوا كلمة الأرثوذكس تحت حمايتهم، سواء منهم المتواجدين في الدولة العثمانية، أو في المجر و بولونيا، وبواسطتهم تثار الفتن والحروب ضد العثمانيين (علي حسون، 1986، ص166-167).

وعلى مدى خمسة قرون دارت بين الدولتين حروب عديدة، ولأن موسكو التي كانت تعتبر نفسها روما الثالثة، لم تنس أن العثمانيين هم من أسقطوا روما الثانية "القسطنطينية"، عاصمة الإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية عام 1453م، وقد ساهمت روسيا القيصرية بدور مهم في قضم وتقليص أراضي الدولة العثمانية، وممتلكاتها في القوقاز وآسيا الوسطى، واستمرت في مساعدة شعوب البلقان، وتشجيعها بالتمرد على سيطرتها، بدعوى الرابطة السلافية والعقيدة الأرثوذكسية، ولولا نظام توازن القوى بين الدول الأوروبية الكبرى في القرن التاسع عشر، لأجهزت روسيا على الدولة العثمانية تماماً (معمر خولي، 2014، ص7).

من جهة أخرى كانت المصالح الروسية الجغرافية، والمادية الاستراتيجية، تقضي بضرورة تحديد علاقتها بالدولة التي تسيطر على مضائق البسفور والدرنديل، أما عن طريق القضاء عليها، أو على الأقل ضمان حرية المرور في كل الأوقات لسفنها التجارية والحربية، وإغلاق هذه الممرات أمام سفن أعداء روسيا.

لقد أصبحت روسيا في الواقع بعد الثورة الفرنسية الدولة الأوروبية الكبرى الوحيدة، التي تضع الفكر الصليبي في مقدمة سياستها الخارجية، وكان كثير من الساسة الروس، يتعجبون من إن أوروبا لا تشد أزرهم ضد الدولة العثمانية، زعيمة العالم الإسلامي، ونتيجة لذلك اندلعت بين الدولتين مجموعة من الحروب، خسرت خلالها الدولة العثمانية، الكثير من النفوذ على مساحات جغرافية شاسعة، لصالح التمدد الروسي (حسن الطائي، 2015، ص1643) ومن أهم الحروب التي انتصرت فيها روسيا القيصرية على الدولة العثمانية الآتي:

#### **الحرب الروسية -العثمانية الأولى (1568 - 1570)**

جرت هذه الحرب في عهد القيصر الروسي إيفان الرهيب، على ضوء سعيه لضم خانات استراخان التتارية، حيث وقفت الدولة العثمانية بجانب استراخان، بالإضافة إلى خانية القرم التتارية، وانتهت الحرب بانتصار روسيا وسيطرتها على هذه المنطقة واسقاط حكم التتار فيها.

#### **الحرب الروسية -العثمانية (1676 - 1681)**

اندلعت هذه الحرب من أجل الهيمنة على أوكرانيا، واللافت أن خان القرم التتاري حارب مع العثمانيين للمرة الثانية ضد الروس القيصرية، انتهت الحرب بمعاهدة 3 يناير 1681م، وعقد هدنة مدتها عشرون عاماً، وتقاسم النفوذ في أوكرانيا ورسم الحدود البحرية بين روسيا والدولة العثمانية.

#### **الحرب الروسية -العثمانية (1768 – 1774) والتوقيع على معاهدة كيناري كينارجي**

في هذه المرة استخدم الروس بالتنسيق مع النمسا، أسلوب المباغته في الهجوم على العثمانيين، واستولوا على شبه جزيرة القرم، ثم قام النمساويون بالاستيلاء على بلاد الصرب والاخلاف والبغدان، وقام الجيش العثماني باسترداد هذه المناطق، ثم تفرغ لقتال الروس، وانتهت هذه الحرب بالتوقيع على معاهدة كيناري كينارجي التي تألفت من 28 مادة، منها ما أجبر الدولة العثمانية على دفع غرامة نتيجة للحرب، وهذه أول مرة تدفع الدولة العثمانية فيها مثل هذه الغرامة (مؤسسة روزنة، 2022).

### الحرب الروسية-العثمانية (1787-1792)

حاولت الإمبراطورية العثمانية دون جدوى، استعادة أراضٍ خسرتها ضد روسيا في حرب سابقة، وتصاعد التوتر عندما طالب العثمانيون روسيا بإخلاء شبه جزيرة القرم، ما دفع روسيا لإعلان الحرب، وانتهى الصراع بمعاهدة جاسي عام 1792م، مؤكدة ضم روسيا للقرم وتوسيع حدودها الأوروبية إلى نهر دنيستر، بينما بقيت الحدود الآسيوية دون تغيير.

### الحرب الروسية-العثمانية (1806-1812)

تصاعد الصراع بين الدولتين، عندما احتلت روسيا مولدافيا وفالاشيا، فأعلن السلطان العثماني الحرب عليها، وانتهت بضم روسيا للنصف الشرقي من بيسارابيا، معززة بذلك نفوذها في الدانوب السفلي قبل غزو نابليون لروسيا (جمعة الطائي، 286، 2017)

### الحرب الروسية-العثمانية (1828 – 1829)

استغلت روسيا الظروف والتداعيات الداخلية للدولة العثمانية، بفعل استمرار السلطان محمود الثاني في إجراءات المتعلقة بإلغاء الفياق العثمانية، مما لم يعد لدى الدولة جيش قوي، تستطيع الدفاع به عن حدودها، فأعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية، واحتلت عاصمة البغدان باش، ووصلوا إلى بوخارست عاصمة الاخلاف رومانيا حالياً، واتجهوا لحصار فارنا في بلغاريا على البحر الأسود، ووصلوا إلى أدرنه، فتحركت فرنسا وبريطانيا وطلبت إيقاف الحرب، حتى لا تتمكن روسيا من احتلال اسطنبول واسقاط الدولة العثمانية، وسارعت في إيقاف الحرب من خلال التوقيع على معاهدة أدرنه المذلة للدولة العثمانية (علي هويدي، 2020، ص111).

### الحرب الروسية-العثمانية (1877 - 1878)

كانت السياسة الروسية تستهدف العاصمة العثمانية إسطنبول، والحرب التي شنتها روسيا القيصرية في عام 1877م، وكأنها نصر لهذه السياسة، إذ وصل الجيش الروسي في زحفه إلى أسوارها، وتوقف ذلك الزحف بعد عقد معاهدة أدرنه في اليوم الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر من العام المذكور، وبموجب البند الخامس للهدنة، تعهدت الدولة العثمانية لقيصر روسيا بالحفاظ على حقوق روسيا، ومصالحها في ممرات البسفور والدرنيل، وجاء فيه أيضاً إيجاد دولة بلغارية في البلقان، وقد أثار هذا النص بريطانيا، التي تخوفت من قيام دولة بلغارية كبرى مع هيمنة روسيا القيصرية عليها (ساهرة محمود، 2018، ص336).

### 8- خاتمة

بدراسة نشأة الدولة الروسية وتطور مسارها التوسعي، تتجلى صورة دولة كبرى، فقد ارتقت روسيا من كيانات إماراتية متفرقة إلى إمبراطورية مترامية الأطراف، رسخ النظام القيصري فيها دعائم الدولة المركزية، التي اعتمدت تحالف تاريخي بين القياصرة والنبل. إن التوسع الجغرافي وتمدد النفوذ لروسيا القيصرية، ارتبط بشكل وثيق بالاستراتيجية الدينية والعرقية التي اتبعتها الدولة، فقد وظفت روسيا الكنيسة الأرثوذكسية كأداة لتعزيز شرعية حكمها، ودمج الشعوب المختلفة ضمن إطار الإمبراطورية، وكذلك لعب العامل العرقي، دوراً بارزاً في تحديد مناطق النفوذ وإدارة السياسات الخارجية، ومن خلال المزج بين الدين والعرق، استطاعت روسيا القيصرية توسيع سيطرتها على مناطق جغرافية شاسعة، معززة نفوذها السياسي ومرسخة نموذجاً متميزاً من التمديد الامبراطوري، يعتمد على التنسيق بين القوة الروحية والانتماء العرقي، وقد ساهم هذا التمديد في تعزيز الموارد الاقتصادية للدولة، ما أدى لتحولها إلى إحدى القوى الكبرى في العالم.

## النتائج

- 1- أثبتت الدراسة أن روسيا القيصرية اعتمدت على الأيديولوجية الأرثوذكسية، لتبرير توسعها الجغرافي وإضفاء الشرعية على سياساتها التوسعية.
- 2- أظهرت النتائج أن العامل العرقي كان عنصراً أساسياً في بناء الهوية الإمبراطورية الروسية.
- 3- أظهرت الدراسة أن تمدد روسيا القيصرية، وتعزيز نفوذها خارج حدودها لم يكن عشوائياً، بل كان جزءاً من رؤية استراتيجية متكاملة، لبناء قوة كبرى ذات نفوذ إقليمي ودولي.
- 4- تمكنت روسيا القيصرية من تحقيق هدفها التاريخي، بالوصول إلى البحر الأسود، والاستقرار على سواحلها الشمالية، من خلال سلسلة من الحروب والمعاهدات.
- 5- شكلت سياسة التمدد الروسي القيصري في أوروبا، على حساب الدولة العثمانية خلال القرنين الثامن والتاسع عشر، محوراً رئيسياً في إعادة رسم الخريطة الجيوسياسية لأوروبا الشرقية والبلقان.

## التوصيات

- 1- دعم البحوث التي تتناول أثر التوسع الروسي على الشعوب، والأقاليم التي خضعت للسيطرة القيصرية.
- 2- إجراء دراسات مقارنة بين التوسع الروسي وتجارب إمبراطوريات أخرى، للاستفادة من أوجه التشابه والاختلاف.
- 3- مواصلة الدراسة بخصوص التوسع الروسي في الحقبة القيصرية، فهي تساعد على فهم وتفسير كثير من ملامح السلوك الجيو سياسي الروسي في الحاضر، وتبرز كيف شكل الماضي الإمبراطوري ملامح الدولة الروسية الحديثة، ودورها في الساحة الدولية.

## المراجع

1. حسين، أحمد سيد. (2015). دور القيادة السياسية في إعادة بناء الدولة: روسيا في عهد بوتين. مركز دراسات الوحدة العربية.
2. النعيمي، أحمد نوري. (2011). العلاقات التركية الروسية: دراسة في الصراع والتعاون. دار زهران للنشر والتوزيع.
3. دوغين، ألكسندر. (2021). جغرافية السياسة في روسيا (عاطف معتمد وآخرون، مترجمون). المركز القومي للترجمة.
4. روشفالد، أفيل. (2012). القومية العرقية وسقوط الإمبراطوريات: أوروبا الوسطى وروسيا والشرق الأوسط (1917-1923) (عاطف معتمد وعزت زيان، مترجمان). المركز القومي للترجمة.
5. إسلام أون لاين. (2012). تاريخ الإسلام في القوقاز. <https://www.islamstory.com>.
6. ياغي، إسماعيل أحمد. (1995). الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث. مكتبة العبيكان.
7. عبدالله، إيناس سعدي. (2015). روسيا 1894-1905. أشوربانيبال للكتاب.
8. الطائي، جمعة عبدالحسن. (2017). العلاقات العثمانية-الروسية 1667-1923. مجلة كلية التربية، (2).
9. بسمه، جريدة. (2016). الأزمة البلقانية وتدابيرها على الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي [رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف-المسيلة].
10. الطائي، حسن عبد علي. (2015). روسيا وحرب القرم 1853-1856. مجلة العلوم السياسية، 33(4).
11. محمود، ساهرة حسين. (2018). اندلاع الحرب الروسية-العثمانية عام 1877-1878 وانعكاساتها على بلغاريا: دراسة تاريخية. مجلة المسار التربوي والعلوم الاجتماعية، (5).
12. الخثلان، صالح بن محمد. (د.ت.). الدين والسياسة الخارجية الروسية: دراسة في دور الكنيسة الأرثوذكسية في السياسة الروسية تجاه الصراع في سوريا. مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات.
13. عبد الحميد، عاطف. (2007). روسيا وآسيا الوسطى. السياسة الدولية، (170).
14. سنو، عبدالرؤوف. (1998). روسيا وأرثوذكس الشرق. جامعة البلمند.
15. حسون، علي. (1986). العثمانيون والبلقان. المكتب الإسلامي.
16. هويدي، علي صالح. (2020). الحرب الروسية العثمانية 1828-1829. وقائع تاريخية، (32).
17. كشت، علي محمد. (2009). الصراع الداخلي في منطقة شمال القفقاس الشركسية: دراسة وتحليل (1991-2007) [رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية].
18. حميدي، فتحي سالم. (2013). إمارة كييف الروسية: دراسة تاريخية في نشأتها وعلاقاتها الخارجية. مجلة كلية العلوم الإسلامية، 7(13).

19. مهدي، لبنى، وفرج، وكرار. (2015). الأهمية الاستراتيجية لإقليم القوقاز وفق المنظور الروسي. مجلة جامعة كربلاء العلمية، (4).
20. سافين، ليونيد. (2017). سياسات الاحتواء: التحركات الغربية لتحجيم العلاقات الروسية مع دول البلقان. مجلة الشؤون الأوراسية.
21. مجموعة مؤلفين. (2006). الشعوب الإسلامية في القوقاز وروسيا وآسيا الوسطى. دار علاء.
22. عقيل، محمد فتحي. (1958). الاتحاد السوفيتي وأثره في السياسات الدولية. دار بئر للثقافة.
23. المحامي، محمد فريد بك. (1981). تاريخ الدولة العلية العثمانية. دار النفائس.
24. صالح، محمد محمد. (1968). تاريخ أوروبا الحديث 1870-1914. مطبعة شفيق.
25. عدس، محمد يوسف. (2017). الإسلام والمسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز. مركز دراسات العالم الإسلامي.
26. خولي، معمر فيصل. (2014). العلاقات التركية-الروسية: من إرث الماضي إلى آفاق المستقبل. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
27. مؤسسة روزنة 13. (2020). حرباً دارت بين روسيا وتركيا: ماذا تعرف عنها؟ <https://www.rozana.fm>
28. زيدان، ناصر. (2013). دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين. الدار العربية للعلوم ناشرون.
29. البستاني، يوسف. (2014). تاريخ حرب البلقان الأولى بين الدولة العلية والاتحاد البلقاني. مؤسسة هندواي.
30. باشا، يوسف عزت. (1912). تاريخ القوقاز. مطبعة عيسى الحلبي.